



يعترى الأداء السياسي الجمعي للمعارضة السورية جملة مغالطات تقديرية تختلف مستوياتها وأوجهها، والثابت المستمر هو التموضع السلبي والمتاخر في الذهنية المحلية والإقليمية والدولية، ولعل أهمها اضمحلال المنطق الدولي في السلوكيات والسياسات العامة وعلى كافة الصعد، ومرد بعض هذه المغالطات متعلق بسياقات موضوعية فرضتها الظرفية الثورية وتحولاتها من الأطر المحلية إلى الدولية بحكم متغيرات وتطورات الملف السوري، والجزء الآخر مرتبط بالحالة السائلة للمعارضة التي تضم بين طياتها مختلف المشارب والعقائد والانتماءات، بشكل يمنع المراقب العام أن يتلمس فيها انسجاماً وتماسكاً هيكلياً أو وظيفياً، ويرجع سبب الجزء الأخير (والأهم) من هذه المغالطات لاستنتاجات قاصرة لبعض تيارات وشخوص المعارضة، مستنبطه من ظلال معتمدي حلفائها الإقليميين والدوليين، كقدرة إسرائيل على التحكم في مختلف زمام الأزمات العربية وحتى الدولية، وأن تمتين العلاقة مع "ربيب وحبيب الغرب" هو بمثابة بطاقة اعتماد سياسية تزيد من فرص تمكين هذا التيار أو ذاك الشخص !!

وتفكيك هذه المغالطة التي بدأت بالتنامي في الآونة الأخيرة وتبيان مخاطرها وأثرها على زيادة السيولة التي تكتنف تفاعلات الملف السوري، وعلى تعميق حالات الاستقطاب الحادة في المشهد بشكل عام، ينبغي تفنيد ادعاءات اتكاء المتهافتين في هذه الفئة من المعارضة السورية نحو تمتين العلاقة مع إسرائيل بما فيها تمويعها في فضاء التحالفات الإقليمية.

إذ يتم التعاطي - عند هذه الفئة - مع المخاوف العامة للهواجس الأمنية التي يبديها صناع القرار الإسرائيلي من "الأزمة السورية" من منطلق ضرورة ترسيخ صورة فكر ليبرالي غير معادٍ بغية الولوج في القوائم الدولية لـ "البدائل المحتملين" لرئيس النظام الذي تعتبره إسرائيل شيطاناً لا تجهله وتمكن من التكيف معه إلى حدّ كبير، في حين أن منافسيه "فصائل إسلامية راديكالية" سيساهم احتمال نجاحها من توليد مناخات عدائية مع إسرائيل بمجرد أن تتمكن من توطيد سلطتها، أو سيعزز استمرار صراعاتها المختلفة من تزايد فرص تهديد الاستقرار في لبنان والأردن المجاورين، وبالتالي ترشح الأزمة إلى حدود إسرائيل التي تعلي من أنها وصيانته فوق باقي الاعتبارات الأخرى.

وفي هذا التعاطي تجاهلاً مقصوداً لأسباب الحراك الثوري الذي تشكل أحد مسوغاته مطالب المشاركة في صياغة الثوابت والمحددات العامة للسياسات المحلية والخارجية عبر ثبيت عقد وطني جديد يعمق الهوية السورية الحضارية المتتسقة مع مميزات مكوناته الاجتماعية التي تشكل إسرائيل خطراً وجودياً في وجданها الجمعي، واحتلالاً يغتصب الأرض المقدسة ويهرج أبناءها ويجتهد في طمس هويتها، ويأتي هذا العبث السياسي المستند على فلسفة الاعتمادية الخارجية لا على الشرعية المحلية كمؤشر واضح في تبني أفكار وحوامل الثورة المضادة المتصالحة مع هذا المحتل.

كما تضمّن هذه الفئة (التي تطبّل الصحافة الإسرائيليّة لخطواتهم وما قيل إنّه رسائل تطالب بالحوار) من قدرة تل أبيب على التحكم في سير واستقرار خارطة التحالفات الإقليمية التي تظن أنّ المحور الذي تباركه ولا تعاديه سيكون له الحظ الأوفر في الاستمرار والبقاء، منطلقين بهذا الاستنتاج - الذي تسوقه بعض التيارات أو الشخصيات السياسية العربية الدافعة لموجات الثورة المضادة - من استراتيجية إسرائيل نفسها الطامحة لضمان تفوّقها العسكري الاستراتيجي المطلّق على كلّ القوى المجاورة عربية كانت أم إقليمية، بالإضافة إلى حتمية عدم التفريط بأي حال من الأحوال بالعلاقة فوق الاستراتيجية أو الاستثنائية التي تربط إسرائيل بالولايات المتحدة على الرغم من تراجع الدور والنفوذ الأميركيين في إدارة الصراعات الدوليّة لاسيما في منطقة المشرق العربي، التي باتت تتعامل معها بسياسات غير مكلفة قد تختلف معها "فراغ القوة" الناشئ عن الغياب الأميركي الإرادي في ظل تشبّث أوباما بتنحية مبدأ الاشتباك وتغلّب خيار مكافحة وتحجيم تنظيم الدولة الإسلامية عبر حلفاء محللين إشكاليين، ومن خلال ضربات جوية يعتريها الكثير من التوظيفات والتطبيقات السياسية، ناهيك عن حرص إسرائيل على كسب الصدافة والتحالف مع القوة الدوليّة العائد والمنافسة بقوّة لنفوذ الأميركي خاصّة في المنطقة أي روسيا الاتحادية.

كما تجد هذه الفئة من لها ث وحرص تل أبيب على استغلال الطرف السياسي العربي لتجديد حيوية الوظيفة التاريخية لـ "دولة إسرائيل" بالنسبة للعالم الغربي كله، كقوله "أنموذج في الديمقراطية في الشرق الأوسط الكبير" قابلة لأن تكون حليفاً محتملاً للدول العربية السنية في مواجهة المشروع الإيراني، خاصة مع التأكّل الواضح لقيمة مفهوم قضية العرب المركزية.

وتغفل هذه الفئة من حساباتها الضيقـة أن خيوط التحالفات الناشئة لا تزال قلقة وغير مستقرة وسيكتنـفـها الكثـيرـ من المتغيرـاتـ الطـارـئـةـ التيـ أـضـحـتـ سـمـةـ التـفـاعـلـاتـ السـيـاسـيـةـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ، وـسـيـبـقـىـ مـعيـارـ الـاتـسـاقـ الـهـوـيـاتـيـ هوـ الأـسـاسـ الذيـ يـكـسـبـهاـ عـوـاـمـلـ الـأـمـنـ وـالـسـتـقـرـارـ، وـأـنـ أيـ مـراـهـنـةـ عـلـىـ فـعـالـيـةـ إـسـرـائـيلـ إـقـلـيمـيـاـ ستـكـونـ لـحظـيـةـ غـيرـ اـسـتـراتـيـجـيـةـ، وـلـ تـرـاعـيـ ثـنـائـيـةـ خـيـارـاتـ إـسـرـائـيلـ الـمـصـلـحـيـةـ وـهـيـ إـمـاـ بـقـاءـ النـظـامـ الـذـيـ اـتـقـنـ عـرـقـودـ مـضـتـ لـعـبـةـ ضـبـطـ الـحـدـودـ وـتـسـكـنـ الـجـهـاتـ وـتـواـزنـ الـمـعـادـلـاتـ الـأـمـنـيـةـ مـعـهـاـ، وـأـنـ إـسـتـمـرـارـ الـفـوـضـيـ الـمـضـبـوـطـ بـحـكـمـ مـبـدـأـ إـدـارـةـ الـأـزـمـةـ وـتـشـجـعـ الـمـسـارـاتـ السـيـاسـيـةـ الـمـفـضـيـةـ لـعـمـلـيـةـ شـكـلـيـةـ تـنـتـجـ نـظـامـاـ غـيرـ قـادـرـ عـلـىـ الـفـعـلـ إـقـلـيمـيـ لـسـنـيـنـ عـدـيدـ، وـبـهـذاـ الـمـعـنـىـ تـكـونـ سـلـوكـيـاتـ هـذـهـ فـتـأـةـ ضـمـنـ مـفـهـومـ اـسـتـغـلـالـ الـهـوـامـشـ لـمـصـالـحـ حـزـبـيـةـ أـوـ شـخـصـيـةـ ضـيـقةـ.

ثبت القول باعتقادي أن مؤشرات "البوصلة المنحرفة" في التعاطي السياسي ستزيد من التيه والتشظي في حراك المعارضة، وسيزيد من تمييع اتجاهاتها، فالمسير السوي تفرضه الأجندة المحلية والوطنية وليس الضرورات الإقليمية فحسب، وتنفذه رجالات دولة تعلي من الاهتمامات الوطنية، وترسم ملامح دربه مطالب التغيير السياسي الحقيقي التي ترفض العبث في هوية المجتمع السوري وقضاياها المركزية.

[نون بوست](#)

المصادر: